علم وخبر ٢٩/أد

يعز عليّ اليوم أن أتكلم عنك ياغازي بعدما اعتدنا الكلام معاً، الكتابة وإعلاء الصوت معاً.

أعذرني غازي إن تلعثّمتْ. المهمة صعبة بعد أن حزمتَ قرارك، وتسللتَ بصمتٍ مع طلوع الفجر كي لا تزعج أحداً، كعادتك.

غازي، في هذه اللحظات الحزينة، الشديدة الوطأة عليّ وعلى جميع أهالي المفقودين، لن أسترسلَ في سرد محاسنِك، مزاياك، مواقفِك وأفعالِك... لقد قيل وسيقال، كُتب وسيُكتب الكثير الكثير. وأنت تستحق أكثر وأكثر. أعرف أنك لا تستسيغ ذلك. كما أعرف أن دافعَ نشاطِك إنسانيٌ بحت. فأعطيتَ الجهد والصحة والوقت لقضية المفقودين دون أن يكون لك فقيد.

أسسّتَ "سوليد" منبراً للمطالبة بتحرير المعتقلين في السجون السورية.

لن أدخل في تفصيل ممارسات الزمن الرديء القمعية بحقك، بل أقفُ عند إصرارِك العنيد بعدم التراجع أو التنازل عن مطلبٍ حق.

لم تكن قضية مفقودي الحرب اللبنانية "غنّوجة" الزمن الرديء.

القاسم مشتركٌ في القمع والتهميش والاستلشاق. الهم واحدٌ دفاعاً عن حرية الإنسان وحقه بعيش كريم. والقضية ذاتها ما بين إنسان خُطف أو فقد أو اعتقل تعسفاً أو أخفي قسراً...

هنا التقينا ورفعنا الصوت عالياً مطالبين بحق معرفة مصائر المغيبين أينما كانوا وكائناً مَن كانت الجهة المسؤولة عن إخفائهم.

نقاط الخلاف بيننا يا غازي كانت أقل بكثير من نقاط التوافق. فصارت تحركاتُنا بمعظمها مشتركة كما البيانات.

ذروةُ التقارب كانت خيمة الـ٢٠٠٥ التي تحولّتْ إلى أرضيةٍ لخارطة التحركات ومركزاً لانطلاقها.

العلاقة بيننا لم تقتصر على عملنا النضالي بل تطورت إلى صداقة عميقة وتبادل الدعم مع كل محطة إحباط أو تعب.

اللقاء الأخير يا غازي كان في ٣٠ آب إحياءً لليوم العالمي للمفقود. تواصلنا هاتفيا للتنسيق. توافقنا على مضمون المداخلة على أن أتكفّلَ أنا بالكتابة باعتبار أنك كنت متوعكاً وتعباً..

لم نلتق بعدها. تواصلنا عبر الهاتف. توقف هاتفك عن الكلام فانقطع التواصل.

"كنت تقلّي زمطت هالمرة. أنا قلّك مش عا ذوقك ياغازي، بالمنيح بالقبيح بدّك تزمط. لازم تزمط.. بعدنا عايزينك، مش وقتا هلّق، أوعا تعملا من ورا ضهرنا"..

هذا الحوار المرح كان يتكرّر بيننا كلما دخلتَ المستشفى، وكنا نختتمه بموجة من الضحك والاستقواء على المرض والموت.

هذه المرة ما "زبطت" معك يا غازي. أنت أخذتَ استراحة بغية استئناف النشاط.. وأنا كنتُ أطمئن المتصلّين، وكأني كنت أطمئن نفسي ضمناً فأجيب: "ما تخافوا غازي نعسان، بكرا بيفيق، وبيرجع أقوى مما كان". بس انت قرّرت ما تفيق..

برحيلك غازي زاد الحمل على كتفيّ. رحيلُك زاد إصرارُنا إصراراً على متابعة المسيرة حتى النهاية. هذه المتابعة هي بمثابة تعويض عن خسارتنا لك. هي متابعة يواكبها أمل بالعهد الجديد لأكثر من اعتبار:

١- أننا أصحابُ حق لن نتخلى عنه.
٢- أن سيد العهد أقسم باحترام الدستور والقوانين وأنه سيحكم بموجبها.
٣- أن سيد العهد سبق أن خبِر الخطف والفقدان وعرف مرارة مذاقهما.
٤- أن سيد العهد على اطلاع مسبق على ملف المفقودين والمخفيين قسرا، وموقفه معلن حول أحقيته وأحقية أصحابه.
٥- أن سيد العهد قد نعاك بكلمات لامست حزننا، فتحت كوة في جدار التعتيم المزمن على قضيتنا "غازي عاد رحل بالجسد لكنه بقي بدفاعه عن حقوق كل إنسان ونضاله لأجل كل مفقود ومغيب... وسيظل نموذجاً وقدوة وحافزاً لاستمرار الرسالة".

البقاء لله يا غازي. والبقاء أيضاً للأقوى.
نأمل من الأقوى أن يضع خاتمة لأحزاننا.
غازي، كلمات النعي شاهدٌ على مزارك. شاهدٌ على نضالك.
شاهدٌ على نيّة إغلاق ملفٍ يختم معاناة الأهالي، ويدعك تقابل ربك بطمأنينة وسلام.
لن أقول لك وداعاً، فأنت باق باق معنا حتى تحقيق الرسالة التي ندرت حياتك من أجلها حتى النفس الأخير. لروحك السلام، وعبرك سلام إلى أوديت سالم، أم محمد هرباوي، أم علي جبر، موسى جدع وسائر الأهالي الذين رحلوا قبل أن يطمئنوا على مصير أحبتهم.

رح نشتقلك غازي

عن اللجنة
وداد حلواني